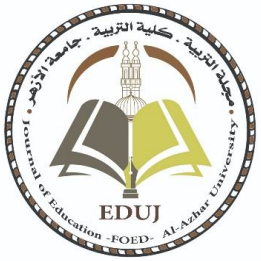

تربويات

السهل الممتنع .. أخطر أسئلة الأطفال

أين اللّه..؟

إعداد

أ.د/ خالد محمود محمد عرفان

عميد كلية التربية بنين القاهرة

تربويات

السهل الممتنع .. أخطر أسئلة الأطفال

أين الله..؟

هذا السؤال وغيره من عشرات الأسئلة التي يلقيها الأطفال علينا بين الحين والآخر ؛ مثل: لماذا مات أبي أو جدي؟ ومن أماته؟ ولماذا؟ وأين ذهب؟ وأين الجنة؟ أنا أريد أن أموت كي أذهب إلى الجنة؟ كيف جئت ياأمي؟ وأين كنت قبل ذلك؟ لماذا ليس لدي اخوة وأخوات؟ وغير ذلك الكثير الكثير من الأسئلة التي ما أسهلها في الإلقاء وما أصعبها في الإجابة..!

ويأتي الاستفسار من المعلمين والآباء والأمهات: ماذا نقول لهم؟

وفي حقيقة الأمر ما أسهل السؤال وما أسهل الإجابة إذا تم الرد عليها ببساطة وبدون تعقيد، مع عدم أخذ السائل إلى دهاليز الفكر والمنطق والأدلة والشواهد، فهو لن يعي كل ذلك، ويريد إجابة بسيطة ومقنعة بقدر بساطة وإقناع السؤال.

إن القيمة الحقيقة في العالم والخبير ليس في كونه مصدرا للمعلومات بل في كونه أداة لتسهيل المعلومات، وقد ضرب لنا رسول الله – صلى الله عليه وسلم المثل في تبسيط المعلومة فتصل منه إلى المتلقي سهلة واضحة غضة، فعَنْ أَبِي عَمْرٍو وَقِيلَ: أَبِي عَمْرَةَ سُفْيَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ t قَالَ: "قُلْت: يَا رَسُولَ اللَّهِ! قُلْ لِي فِي الْإِسْلَامِ قَوْلًا لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا غَيْرَك؛ قَالَ: قُلْ: آمَنْت بِاَللَّهِ ثُمَّ اسْتَقِمْ" . رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

جملتان لخص فيهما رسول الله الإسلام، إجابة قصيرة واضحة وسهلة كسهولة السؤال.

إن الإجابة على مثل هذه الأسئلة بتفاصيل وبدقة وبشكل مقنع للسائل يتطلب منا الإدراك الدقيق لجوانب وأبعاد موضوع السؤال، وهذا غير متوافر هنا، فمن منا يستطيع بعقله المحدود أن يدرك ذات الله عز وجل؟ وكل من حاول ذلك من الفلاسفة والمفكرين إما أن يلحد وإما أن يجن، فأنى لكأس أن يستوعب بحرا؟!

لذا ينبغي أن تكون إجابتك على هذه الأسئلة بدرجة بساطتها وبدرجة سطحيتها.

فعلى سبيل المثال ، تخيل :

الطفل يسألك: أين الله؟

الرد: في كل مكان.

لماذا لا أراه ؟

الرد: لأنه أعظم من أن تراه.

فنحن لا نرى الأشياء الدقيقة جدا ولا الأشياء العظيمة جدا.

الطفل: كيف؟.

الرد: هل يوجد ميكروبات وجراثيم وكائنات أخرى دقيقة؟

الطفل: نعم.

الرد: هل تراها؟

الطفل: لا أراها.

الرد: هل تسمع عن المجموعة الشمسية؟

الطفل: نعم.

الرد: هل تراها.

الطفل: لا أراها.

الرد: لماذا لا تراها: لأنها كبيرة جدا فلا أستطيع أن أراها.

الطفل: ولماذا لا يسمح الله لي أن أراه؟ أليس هو قادر على أن يريني إياه؟

الرد : نعم قادر.

الطفل : أريد أن أراه.

الرد: لن تراه رحمة من الله بك.

الطفل : كيف ذلك؟

الرد: انت تهاب الدخول إلى مدير المدرسة.. أليس كذلك ؟

الطفل: نعم.

الرد: إذا كنت تهاب مدير المدرسة، وتخاف لقاءه. فكيف تستطيع أن تلقى الله؟!

الطفل: فعلا

حوار سهل وبسيط أسئلة تلقائية ردود بسيطة منطقية مقنعة.

مثال آخر:

الطفل: أين أبي ؟

الرد: مات.

الطفل : من أماته؟

الرد: الله.

الطفل : لماذا؟ هل يكرهه.

الرد لا إنه يحبه ؛ لذا أخذه عنده.

الطفل: أين؟

الرد: في الجنة؟

الطفل: أين الجنة؟

الرد: في السماء.

الطفل: أنا أريد أن أموت كي أذهب إلى أبي في الجنة.

الرد: ليس الآن.

الطفل: لماذا؟

الرد: ننتظر حتى يطلب منا الله ذلك. هل تستطيع أن تفعل شيئا بدون موافقة الكبار؟

الطفل: لا.

الرد: كذلك لا نموت إلا إذا أمرنا الله.

الطفل: صحيح.

نعم إن أسئلة الأطفال صعبة جدا رغم سهولتها، وهي تتطلب النزول من عالمك الغارق في التفاصيل التي يكمن فيها الشيطان إلى واقع الأطفال ببراءته وبساطته.

انظر ماذا فعل رسول الله في مواجهة مثل هذه الأسئلة التي لم ترد إليه من الأطفال وإنما من اليهود الذين يعرفون عنه كل شيء:

ذكر ابن الجوزي في تفسيره : "أن اليهود قالت لقريش سلوا محمداً عن ثلاث فإن أخبركم عن اثنتين وأمسك عن الثالثة فهو نبي سلوه عن فتية فقدوا، وسلوه عن ذي القرنين، وسلوه عن الروح. فسألوه عنها ففسر لهم أمر الفتية في الكهف، وفسر لهم قصة ذي القرنين، وأمسك عن قصة الروح" وإذا كان – صلى الله عليه وسلم- يفعل ذلك مع أسئلة أعدائه فماذا سيفعل مع أسئلة أطفال المسلمين؟!

إن الأسئلة في حياة الأطفال من أهم مصادر المعرفة، فلا تزجروهم وساعدوهم في الإجابة عنها، وانتقلوا معهم من سؤال إلى سؤال، فمع الانتقال بين الأسئلة تزداد المعرفة.

إن طرح الأسئلة إستراتيجية تساعد على نمو مهارات التفكير ونمو مهارات البحث والتنقيب، ونمو مهارات اللغة والتواصل مع الآخرين.

وإذا بحثت في تراثنا الإسلامي نجد كما كبيرا من الأسئلة التي وجهها الأنبياء والمرسلون إلى خالقهم لمزيد من الفهم والمعرف منها " رب أرني أنظر إليك" " كيف تحيي الموتى" " أنى يحي هذه الله بعد موتها" " أخرقتها لتغرق أهلها" " أقتلت نفسا زكية بغير نفس" " لو شئت لاتخذت عليه أجرا"

وكذلك أسئلة توجه من المعلم إلى المتعلم تستثير حواسه وأفكاره، وهي ليست لطلب الفهم؛ فالمعلم على دراية بالإجابة، وإنما تكون لغرض في نفس المتحدث منها قوله تعالى: "وما تلك بيمينك يا موسى" "هل أتاك حديث الغاشية" "ألست بربكم" "أليس الله بأحكم الحاكمين" فالأسئلة هي الأسئلة بجمالها وروعتها ومتعة البحث عنها، ومتعة الإجابة عنها.

وللإجابة عن الأسئلة آداب؛ أهمها: الاستماع إلى السؤال جيدا؛ فمن أساء السمع أساء الإجابة، التفكير قبل الإجابة، مراعاة مستوى السائل، عدم الإجابة عند عدم المعرفة، تقديمه بشكل بسيط وسهل ومقنع.

فرحب بأسئلة الأطفال وشجعهم عليها فهي البوابة الكبرى نحو التفكير والتعلم، وما لا يستطيعون فهمه اليوم غدا سيفهمونه، وسيظلون ممتنين لك بأنك سمحت لهم بالتساؤل يوما ما وهم صغار.

والآن .. أين أنت؟ وماذا تفعل؟ ولماذا جئت؟ وأين ستذهب؟ وماذا لو مت الآن؟ وماذا ستقول لربك؟

هذا وبالله التوفيق

أ.د/ خالد محمود محمد عرفان

عميد كلية التربية بنين القاهرة